ميشال زيفاكو

# الوصية السرية

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان
ص. ب. ٨٧٣٧

## - ١ -

# الولاء الكاذب

اصاب خبر موت البنفسجية الدوق دي كيز في الصميم .. وهو الخبر الذي القته اليه فوستا وهي تودعه ، فمضى ليله في هم مقيم وحزن عظيم، وبكاء متواصل .

فلما اصبح الصباح تمالك نفسه وفكر في المستقبل الباسم امامه ، والعرش الذي سوف يجلس عليه ، والفتوح التي وعدته فوستا بها، والملك الذي يجب ان يموت ليحل محله ، والرحلة الى ( بلوا ) حيث مقر الملك ، فأمر خادمه بفتح باب القاعة الكبرى ليستقبل النبلاء الذين كانوا قد تجمعوا في الاروقة والغرف المختلفة بانتظاره .

ولما مثل الجميع امامه قال لهم :

ـ لقد امر الملك ايها السادة باجتماع المجالس النيابية فارسلت الاقاليم نوابها الى ( بلوا ) وعلينا ان نسافر الى هذا المكان تلبية لرغبات الملك ، ولكي يشارك ممثلو باريس نواب الولايات المختلفة في شؤون الحكم والادارة .

ولما انصرف النبلاء ليستعـدوا لهذه الرحلة ، كتب الـدوق دي كيز الرسالة التالية الى فوستا :

« سيدتي

« لقد اقنعني حديثك وارضاني ، ولم اعد اطيق الصبر لحظة عـلى تنفيذ المشروع الخطير الذي وضعت خطته .

« ولهذا قررت السفر الى ( بلوا ) حالا ، وبعد الانتهاء من كتابة هذه الرسالـة .

« وسأتشرف بانتظارك في بلوا لتنفيـذ الامرين الخطيرين اللـذين اتفقنا عليهما .

« اولهما موت من تعرفين ، وثانيهما اتحاد قوتينا » .

هنري دوق دي كيز الآن

وادار وجهه يبحث عن رسول يكلفه بحمل الرسالة الى صاحبتهـا ، فشاهد ( مورفر ) فكلفه بها .. وحذره من اضاعتها لخطورتها .

وغادر ( مورفر ) قصر الدوق وهو يقول في نفسه : ليس هذا الرجل ممن يوثقون به ، فهو ابدا يتبدل ويتقلب ، ولو كنت واثقا ان باردالیـان لقى حتفه ، لابتعـدت عنه ، وسرت في سبيـل آخر ، ومضيت اكيد لـه وانتقم منه .

ولكني لا استطيـع شيئا ضده في الوقت الحـاضر ، وهو القـوي العزيز .

ولقد توجه مورفر الى منزله الخاص قبل ان يذهب الى قصر فوستا ، وبعد ان احكم اقفال الباب وارخى الستائر ، اخذ شفرة رقيقـة ومضى يعالج بها الرسالة حتى فض غلافها وقرأ محتوياتها ، فاهتاج واهتم لما فيها ، واخذ ورقة وراح يقلد خط الدوق حتى استقام له ذلك بعد جهد ، فوضع

الرسالة المقلدة في الغلاف ، واعاد الختم الى ما كان عليه ثم وضع الرسالة الاصلية في جيب من جيوبه السرية ، وهو يقول في نفسه :

ــ هذه لملك فرنسا .

وبعد ان سلم الرسالة الى فوستا ، عاد الى قصر الدوق فوجده قد غادره الى ( بلوا ) فمضى خببا على جواده حتى لحقه ، وقال له :

ــ لقد قضي الامر يا مولاي .

★★★

وقف باردالیان في ذلك الرواق المظلم من قصر فوستا دهشا حائرا لما سمعه من الحديث الذي دار بين الدوق وهذه المرأة الجهنمية ، وراح يقول لنفسه :

ــ اليس من المؤلم ان تكون هذه المرأة الجميلة الذكية من اهل الخيانة والغدر ، فاني لم اكد انقذها من الموت حتى طلبت من الدوق قتلي .

ولما عادت فوستا الى غرفتها بعد ان ودعت الدوق ، فكر باردالیان في الدخول عليها وتأنيبها ، ولكنه ما لبث ان تمالك نفسه ، حين شاهدها تجلس على كرسي وتبكي .

ثم ما لبثت ان تمالكت نفسها .. وقرعت جرسا .. فأقبل خادم ، وقف بعيدا حين رآها تكتب .

وكان الكتاب طويلا استغرق ساعة من الزمن ، فلما انتهت منه وختمته سألت الخادم عن الكونت ، فاجابها انه في موقفه قرب سانت دنيس .

فقالت له :

ـ سر بهذه الرسالة اليه ، وقل له ليسافر في الساعة الثامنة من الصباح الى دنكرك ليدفع هذه الرسالة الى الكسندر فرنيز .. وقل له اذا لم يجدني في باريس عند عودته ، فليلحق بي في ( بلوا ) .

ولما خرج الخادم لينفذ امرها ، قال بارداليان في نفسه ، لا شك انها تأمر الكسندر فرنيز في هذه الرسالة للتأهب لدخول فرنسا كي يغدو الدوق دي كيز امبراطورا على اوروبا كلها .. كما وعدته ان يكون .

غادرت فوستا القاعة على الاثر ، فاقبل خادم واطفأ الانوار ، وبعد قليل لم يعد باردالیان يسمع صوتا فايقن ان الجميع قد ذهبوا لمضاجعهم .

جرّد خنجره ومضى يبحث عن الباب الخارجي ، فوصل الى ردهة كان فيها نور ضعيف ، ولم يكن فيها احد من الحراس ، لان جميع حراس فوستا انضموا الى الكردينال روفيني وتركوا فوستا لمصيرها .. فلم يجد والحالة هذه صعوبة في فتح الباب ، واقفاله بعد خروجه ، وكانت ساعة كنيسة نوتردام تدق مؤذنة بانتصاف الليل .

توجه باردالیان الى فندق دفنير على التو ، فلما بلغه وطرق الباب ، وفتحت له الخادمة ، طلب منها ان تعد له طعاما ، فقد كان شديد الجوع .

فقالت تعتذر :

ـ اني اكاد اموت من النعاس يا سيدي الشفاليه .

ـ اذن اذهبي الى غرفتك ، ولا تنسي ايقاظي في الساعة السادسة صباحا .

فلما تركته وشأنه ذهب الى المطبخ يعد لنفسه طعاما ، فارتبك واخطأ ، واخذ يضحك من نفسه ، واحس بحركة خلفه فالتفت فشاهد هيكيت صاحبة الفندق تراقبه وتضحك ، ثم تقدمت منه ، وابعدته عن النار واخذت تعد له طعامه ، وهي تقول :

ـ سوف اطرد الخادمة غدا .

ـ لا تفعلي فانا التي سألتها ان تعود لفراشها .

واقبلت هيكيت تخدمه ، وتهيء له طعامه ، وهي راضية شاكرة مسرورة فرحة ان تمكنت من خدمته ، والاشراف على راحته ، وكانت كما يعلم القاريء تحب بارداليان حبا جما ، وتحترم حبه لزوجته الميتة ، فتحتفظ بحبها في قلبها ، وكان اقصى امانيها ان يظل بقربها ، ولا يترك فندقها لتقر عيناه بقربه .

وبعد ان تناول بارداليان طعامه ، اوى الى فراشه ثم ايقظته الخادمة في السادسة صباحا فتوجه الى كنيسة سانت دنيس التي سمع فوستا تقول ان الكونت احد رجالها يقيم في منزل بقربها .

ولما وصل الى المكان ترجل عن جواده ، واختبأ خلف شجرة في الطريق، فاقبل بعد نصف ساعة خادم فوستا قادما من باريس ، فعرفه بانه الرجل الذي يحمل رسالة الكسندر فرنيز الى الكونت المجهول .

ودخل خادم فوستا الى المنزل ، ثم غادره عائدا الى باريس بعد ان سلم الكونت الرسالة .

وظل بارداليان منتظرا في مكانه ، حتى خرج الكونت فركب جوادا وسار في طريق دامارتين .. فمضى بارداليان في اثره ، حتى وصل الى قرية فنام في فندقها ، وفعل بارداليان مثله ، ولكنه لما افاق في صباح اليوم التالي وعرف من صاحب الفندق ان الكونت قد سافر ليلا ، ادرك انه قد اكتشف سره ، وانه يتأثره ، فمضى يلحقه حتى لحق به ، ودعاه لتسليم الرسالة التي معه فرفض الكونت ، فبارزه باردالياں وجرحه ، ثم اخذ الرسالة منه، ومزقها امام عينيه ، وهو يقول :

ـ لقد خطر ببالك اني سوف استعمل هذه الرسالة ضد فوستا ، واسلمها للملك لينتقم منها ، والواقع كما ترى غير ذلك ، فليس يهمني

القضاء على فوستا ، رغم محاولاتهـا العديدة لقتلي ، وانما اريـد فقط افساد كل مشاريعها ، وشل حركاتها .. والقضاء على مكايدها .

وبعد ان ضمد جراح الكونت سلمه الى عجوز عثر عليها للعنايـة به في قريتها القريبة بعد ان حمله الى منزلها ، ودعا طبيبا عجوزا لمعالجتـه ، وبعـد ان فحصه الطبيب او المتطبب على الاصح ، قال انـه سيشفى .. ولكنه يحتاج الى شهرين للراحة .

وعاد بارداليان الى باريس بعد ذلك للبحث عن مورفر ، ولقاء الدوق دي كيز .

ولكن الدوق كان في الطريق الى ( بلوا ) كما قدمنا ، بصحبـة مائة وخمسون نبيلا كانوا جميعا من انصاره ، ويضحون انفسهم في سبيله .

وكان يعلم الى هذا ان جميع النواب الذين يحضرون الجلسة الكبرى في ( بلوا ) .. لا بد ان يكونوا باكثريتهم من اتباعه وانصاره ايضا .

ولهذا فسيكون هو رئيس المجلس الحقيقي لا الملك ، الذي يناصره غير قوة من الجند بقيادة كيرلون .. وقد علم مـن مورفر ان الجنـود يشكون من تأخر مرتباتهم .. وانهم يتأهبون للثورة والعصيان .

ولما وصل الدوق وانصاره الى مكان قريب من ( بلوا ) شاهد جمعـا من الفرسان يتقدم نحوه ،ولما مثلوا امامه اخبروه انهم وفود نواب الشعب الذين ارسلوهم لتحيته واستقباله .

فسر بذلك سرورا عظيما ، واطمأن الى فوزه القريب بالعرش .

★★★

كان ملك فرنسا في هذه الاثناء يذرع القاعة الكبرى في القصر الـذي يقيم فيه جيئة وذهوبا بانتظار وصول الدوق دي كيز ورجاله .

وقد غصت الشرفة ودراجات السلم الكبير بالنبلاء والجنود ، وانتشر الحراس هنا وهناك وكان في القاعة ما يقرب من عشرين نبيلا ، ينظرون الى الملك وامه دون ان يتكلموا او يتحركوا ، فيما كانت الملكة كاترين جالسة في زاوية من زوايا القاعة تتحدث مع احد الكهنة .

وسمع الجميع ضجة في الخارج .

وتجاهل الملك سبب الضجة .

وقال للكونت دي لوان : .

ـ اذهب وانظر ماذا يجري خارج القصر يا كونت .

واقبل ( كالابر ) في هذه الاثناء وكان قد اطل من النافذة ، عند سماعه الضجة ، يقول للملك :

ـ لقد وصل الدوق دي كيز يا مولاي .

وقال الملك بلهجة ادهشت الجميع :

ـ اي شيء له معنا ، وماذا جاء يعمل هنا ؟

وكان الدوق قد اخذ يصعد السلم في هذه الاثناء ، وخلفه حاشيته ورجاله وحراسه ، ففطن ( كريلون ) قائد حرس الملك الى معنى هذه الظاهرة وما فيها من تحد للملك ، فحال بين الدوق ورجاله ، وقال للدوق واخويه :

ـ لقد امرني الملك ان اخبركم بانه يتفضل بمقابلتكم ..

ثم التفت الى رجال الدوق وقال لهم :

ـ واما انتم ايها السادة فتفضلوا بالانتظار .

وحاول رجال الدوق الاعتراض ، فتدخل الدوق ، ودعاهم الى انتظاره في مكانهم .

ثم قال لكريلون :

ـ تفضل يا سيدي بادخالنا الى جلالة الملك .

وقف رجال الـدوق على السلم الذي ازدحم بهم وبرجـال الملك ، واختلط الفريقان وجعل كل منهما ينظر الى رفيقه ، نظرة العداء والتحدي.

واما كريلون ، فقد ادخل الدوق واخويه الى قاعة الملك واقفل الباب خلفهم .. ووقف على الباب ينتظر ما يكون .

وكان الملك جالسا على كرسيه ، وقبعته على رأسه ، وقد اسند كوعه الـى الكرسي ، وتقدم الدوق وشقيقاه نحـو عرش الملـك حيث حنوا رؤوسهم ووقفوا ينتظرون ما يقول .

ولم يقـل الملك شيئـا في اول الامر ، وساد صمت هائل في القاعـة الكبـيرة .

ثم قال جلالته :

ـ اهذا انت ايها الدوق .. ما الذي تريد ان تقوله لنا ؟

وارتعش جميع من في القاعة لهذه اللهجة القاسية ، وهـذا الاستقبال الفاتر ، ومدوا ايديهم الى سيوفهم وخناجرهم ، وتمالك الـدوق نفسه ، وقـال :

ـ تعلمون يا مولاي ، ان اخي الكردينال رئيس حزب الاساقفة ، وقد اتى يمثلهم عند دعوتكم النواب للحضور .. كما ان اخي الدوق دي مايان زعيم النبلاء في اللورين ، قد اقبل يمثل هؤلاء النبلاء ايضا .

فأجابه الملك بلهجة قاسية :

ـ وانت ايها الدوق .. فاني لا ارى فيك غير زعيم ثورات ورئيس مؤامرات .

واصفرّ وجه الدوق من هول التهمة .. ومضى الملك يقول :

ـ اني لم اسألك عن اخويك ، واني سألتك عن نفسك ، فمـا الذي جئت تفعله هنـا ؟

وتقدمت الملكة كاترين من كرسي ولدها ، فأحس الدوق بالشر ، وقال في نفسه :

ــ اذا بدرت منهما بادرة غدر ، ناديت رجالي ، وليكن ما يكون .

وقال الدوق :

ــ اني يا سيدي احد النبلاء الذين دعوتهم ، وقد رأيت مــن واجبي تلبية الدعوة .

فعاد الملك يقول :

ــ اني لا اسألك عن سبب قدومك الى ( بلوا ) ، ولكن الى هنا .. الى قصر الملك فما الذي جئت تفعله ؟

فتلعثم الدوق ، ولم يحر جوابا ، وهمس الكردينال في اذنه ، وكــان اثبت منه جنانا :

ــ ما هذا الجبن ؟ ولماذا لا تجرد حسامك ؟

ومضى الملك يقول :

ــ ثم انك اتيت لمقابلتي ومعك عدد كبير من الحرس والحاشية ، لا اسير انا على رأس مثلهم ولو شاهدنا المارة لظنوك الملك دوني .

حاولت كاترين ان تتدخل ولكن الملك قاطعها ، ومضى يقول للدوق :

ــ دعيني وشأني فليس هنا غير ملك واحد ، ومتى تكلمت وجب على الجميع ان ينصتوا ويسمعوا .

ثم التفت يقول للدوق :

ــ اني اهنئك بهذه الحاشية ، ولكنها لا تزال تنقص رجلا ، وهو ذلك الراهب الذي اراد قتلي في كنيسة شارتر ، العلك نسيته في باريس ؟

وعظم هياج حاشية الملك عند سماعهم هذا الكلام ، وعادوا يتحسسون سيوفهم ، والتفت الدوق الى الباب ، كمن يهم بالإستنجاد برجاله .

ولكن كاترين اسرعت فتدخلت بعد ان استأذنت من ولدها الملك ، وقالت للدوق :

ـ لا بد انك تعلم ايها الدوق اننا اكتشفنا مؤامرة لقتل الملك في شارتر ، لولا رحمة الله التي انقذت الملك ، وقد جاء هذا القاتل معك من باريس ، وهو ما اراد جلالته ان يقوله .

وانكر الدوق ان يكون له علم بهذه المؤامرة ، او ان هناك رجلا في المملكة كلها يريد الاساءة الى جلالة الملك .

وابتسمت الملكة وقالت :

ـ والآن وقد جئت لزيارة جلالته ، فهو يريد سؤالك عن السبب في هذه الزيارة ؟

وتمالك الدوق نفسه ، واغتنم هذه الفرصة ، فاعلن انه جاء يدعو الملك للعودة الى عاصمته ، ويقول هذا على ملأ من جميع النبلاء الذين اتوا معه .

وقد امر الملك بفتح باب القاعة ، فسمع الجميع كلام دي كيز، ومضى الدوق ينكر ان تكون له علاقة بالفتن والثورات التي وقعت في فرنسا ، وانه لولا وقفته الشديدة ضد الثوار لاستفحل الامر .. وتطور الموقف وختم حديثه : وقد جئت اضع حسامي تحت قدمي جلالة الملك ، واعرض عليه سلما موطد الاركان اذا كان هناك خلاف وخصام .

وقد اضطرب اتباع الدوق وانصاره لهذا الكلام الذي اعلنه زعيمهم امام الملك ، واعتذر له آخرون بانه يتظاهر بالطاعة والخضوع والمسالمة لغاية في نفسه .

وكانت هناك قلة تعرف اغراض الدوق فلم تدهش لهذه التصريحات .

وقال الملك :

ـ اتعيد ما قلته الان ايها الدوق امام الهيكل في الكنيسة ؟

فتردد الدوق لحظات ، ثم قال :

ـ بالتأكيد يا مولاي ، وعندما يصدر امر جلالتكم .

ـ اتقسم بالقربان المقدس يمين المسالمة والاخلاص ؟

فقال الدوق :

ـ اني مستعد لحلف اليمين يا مـولاي عند عودتنا الى باريس فـي كنيسة نوتردام .

فقاطعه الملك :

ـ بل تحلف هذا اليمين هنا ، وفي كنيسة بلوا فان الكنائس سواء عند الله .. وسنذهب الان الى الكنيسة .

وخاطب الملك كريلون رئيس حراسه وقال له :

ـ سنذهب الى الكنيسة يا كريلون ، ليسمع الجميع قسم الدوق ، واما الان فاتركوني وحدي .

ولما خلا الى امه ، تحدث اليها ، بشوقه للعودة الى باريس .

فقـالت له :

ـ يبدو انك تريد العودة اليها لتعود لحياة العبث واللهو .. وانفاق الامـوال دون حساب ، ولـكن المجالس النيابية قـد لا تقرك على هذا الاسراف .. والشعب لن يسكت الى الابد عليها ..

« ولتعلم يا بني ان الخلاف بيننا وبين دي كيز لم ينته ، وهو سيقسم هذا القسم مكرها ، وسيحنث به في الوقت المناسب » .

ولكن الملك لم يلق بالا لتحذيرات امه ، وذهب الى الكنيسة مـع رجاله ، حيث حلف الدوق دي كيز يمين الاخلاص للملك امام جمع غفير من النبلاء والجنود .

ولما انتهت الصلاة ، غادر الملك الكنيسة بعد ان دعـا الدوق للعشاء عنده مع اخويه .

وظـل رجال دي كيز حول الكاردينال شقيقه في الكنيسة ، وهـم يصيحون ويقولون :

ـ هذه خيانة .. فليس من حق الدوق ان يحلف باسم سواه .. وان يربط اعضاء الحزب المقدس بما ربط به نفسه .

وقال الكاردينال يطمئنهم :

ـ تمهلوا ايها السادة واسمعوا ما اقوله ..

« لقد اقسم اخي الدوق يمين الولاء ، ولكن لمن » ؟

فصاح الجميع :

ـ للملك طبعا .

ـ ولكنه لم يقسم يمين الولاء لهنري الثالث .. بل لملك الحـزب المقدس ، الذي ستختارونه انتم .. وليس لهنري الثالث الذي سيموت .

## - ٢ -

# رأس الدوق

سر الجميع لهذا التفسير وسرّى عنهم ، وعادوا الى مرحهم ولهوهم وعبثهم .

ولما جلسوا لتناول الطعام على مائدة الملك ، كان الفلكي ريجيري يراقبهم من نافذة تطل على صالة الطعام .. فلما انتهوا من الطعام قاموا يلعبون الورق ، حتى اذا احس الملك بالتعب غادرهم وأوى الى فراشه .

وغادرت الملكة كاترين القاعة على الاثر في طريقها الى الغرفة التي كان فيها الفلكي ، فالتقت ( مورفر ) في طريقها ، فصاحت تقول :

ـ مورفر .. اننا لم نرك من زمن بعيد ؟

فقال :

ـ نعم يا سيدتي .. انا مورفر .. الذي هو من اخلص المخلصين لجلالتك .

فقالت بهدوء مرعب :

ـ ما الذي كنت تفعله يا مورفر حين غادر ولدي الملك باريس ؟

فقـال :

ـ لقد فهمت قصدك يا سيدتي ، فقد كنت في خدمة الدوق دي كيز كل هذه الفترة ، وكنت من اعضاء حزبه المقدس ومن العاملين على اقصاء الملك عن عاصمته ، ولكن السبب في هـذا كله ، تجاهلك اي بعد كـل الخدمات التي قدمتها لك اثناء المذبحة العظيمة ، وبعد ان قطعـت رأس كولينـي وجئتك به .. فكان ان انتقلت الى المعسكر الآخر .. بعـد ان تجاهلت خدماتي ، ونسيت مكافأتي .

واشتد بالملكة الغضب بعد هذا الجواب ، وامرته بمغادرة المكان .

ولكن الفلكي الذي كان قد سمع طرفا من الحديث ، تدخل واشار اليها اشارة خاصة ، فبدلت لهجتها وقالت :

ـ لقد عفوت عنك يا مورفر ، رغم ما سمعته منك مـن التصريحات الغريبة .

فركع عندئذ مورفر على قدميها وقال :

ـ استطيع الان ان احدثك بما جئت لاجله .

فادركت الملكة انه يحمل اليها سرا كبيرا فقالت :

ـ تكلـم .

وقال الفلكي :

ـ لا بد انه يحمل لجلالتك نبأ عظيما يستحق عليه المكافأة والثواب .

فقال مورفر :

ـ بالتأكيد .. لقد اتيت احمل الى جلالتها رأسا ايضا ، كما فعلت في مذبحة برتلماوس .

واحمر وجه الملكة من السرور .. وادركت ان هذا الرأس الجديد لا بد ان يكون رأس الدوق دي كيز .. فليس من خطر على الملك اليوم غيره.

سألتـــه :

ـــ ماذا تطلب مقابل ذلك ؟

فقـــال :

ـــ اني اكتفي بثلاثمائة الف دينار ، وهو مبلغ قليل لان الرأس الذي اتكلم عنه يساوي اضعاف هذا المبلغ .

فقالت الملكة في نفسها :

ـــ بل انت على استعداد لتخون سيدك دي كيز مجانا احقدك عليه .

وطلبت الملكة من الفلكي ان يأتيها بورقة من الاوراق الموجودة فـــي الدرج الثالث من خزانتها ، وكانت هذه الاوراق حوالات على الخزينـــة لم تذكر فيها المبالغ التي يراد صرفها ، وهي موقعة بامضاء الملـــك هنري الثالث ملك فرنسا .

وقـــد وقعت كاترين على الـــورقة بمبلغ خمسمائة الف دينـــار باسم ( مورفر ) على ان يقبض المبلغ في باريس ، وفي اليوم التالي لموت دي كيز .. وحين يستقل الملك بالحكم والسلطان .

وسر ( مورفر ) بالنجاح الذي حصل عليه ، فقد كـــان همه الحصول على المال اللازم والهرب من باردالیان الى ارض الله الواسعة ، والانتقام من دي كيز الذي اغفله وتهاون في امره ، واحتقره .

وضع ( مورفر ) الورقة في جيبه ، واخرج من سترته ورقة ثانية وهو يقول :

ـــ لقد اعطيتني ورقة على الخزينة يا سيدتي ، وانا سأقدم لك ورقـــة قد تطيح برأس دي كيز اذا قرر الملك ذلك .

واخرج رسالة دي كيز الى فوستا ، وهي التي احتفظ بهـــا ، واعطى فوستا الرسالة المزورة .

واخذت كاترين تقرأ ما يلي :

« سيدتي

« لقد اقتنعت من كلامك حتى لم اعد اطيق الصبر على تنفيذ المشروع الخطير الذي رسمت لي خطته ، واصبحت لا استطيع الصبر لا شهرا ولا اسبوعا ، وانا مسافر على التوالي ( بلوا ) لتنفيذ الامرين الخطيرين اللذين اتفقنا عليهما .. وهما قتل من تعرفين ، واتحاد قوتينا كما تعلمين .

الامضاء

هنري دي كيز
( في الوقت الحاضر )

ولقد قرأت كاترين الرسالة اكثر من مرة ، حتى استوثقت من الاغراض الواضحة التي ترمي اليها بكلمات مبهمة .. ثم سألته :

ـ لمن اراد ارسال هذه الرسالة ؟

ـ الى الاميرة فوستا .

ـ اذاً فهي لم تصل اليها .

ـ بل لقد ارسلت نسخة مقلدة منها ؛ زيادة في الحيطة والحذر .

فسرت الملكة بهذا الجواب ، وقالت :

ـ اواثق انت ان احدا لم يطلع على هذه الرسالة ؟

ـ كل الثقة .

وعندئذ اشارت الملكة اليه بالانصراف ، ثم استندت على المائدة بيدها واخذت تفكر .

★★★

غادرت فوستا قصرها الى ( بلوا ) بعد ايام من سفر الدوق دي كيز الى باريس .

وفي الساعة التي برحت فيها العاصمة من باب مونمارتر ، اقبل اليها باردالیان من باب سانت دنيس ، بعد ان تمكن من انتزاع رسالة فوستا الى الكسندر فرنيز من الكونت الذي بارزه وجرحه ، وتركه يعالج في احدى القرى البعيدة عن العاصمة .

فلما علم بسفر الدوق الى ( بلوا ) كر راجعا من حيث اتى ، وقرر السفر الى (بلوا) ايضا ، لعله يعثر على (مورفر) او يقع على ( دي كيز ) فينتقم من الاثنين معا .

ومر في طريقه بدير اليعاقبة حيث زار ( جاك كليمانت ) .. فعرف منه انه لا يزال مصرا على قتل الملك ، ولكنه ينتظر كلمة من باردالیان تقول له .. أنت وشأنك .

فهز باردالیان رأسه وقال :

ـ الافضل ان تنتظر قليلا ايضا .. وبهذه المناسبة تعال معي الى ( بلوا ) فاني مسافر اليها ، وبحاجة الى رفيق في الطريق .

وما كاد الرجلان يغادران الدير حتى ارسل رئيسه رسالة الى الدوقة دي مونتبانسيه يخبرها فيها ان جاك كليمانت في طريقه الى ( بلوا ) .

وكان رئيس الدير قد سمع الحديث الذي دار بين الرجلين من خلف الباب ، وظن ان باردالیان لا بد ان يكون احد المتآمرين ، وانه هو الذي يقرر الساعة التي يجب فيها ان يضرب الراهب ضربته .

وكانت الملكة كاترين في هذه الاثناء ، وبعد ان تسلمت من ( مورفر ) رسالة الدوق دي كيز الى فوستا ، قد راحت تراقب الدوق ، وتفكر في اللحظة المناسبة ، التي تفاجىء فيها دي كيز بسر جريمته .

وكان قد وصل في هذه الاثناء رسول من ملك النافار يحمل رسالة

الى الملك هنري الثالث ، فقرأ الملك الرسالة امام النبلاء والاعيان الذين كان يغص بهم قصره ، فاذا ملك النافار يطلب ان تعاد الى الهيكونوت املاكهم التي وضعت الدولة يدها عليها ، وان يقر مبدأ حرية الدين ، فضج الحاضرون من الطلبين ، واخذوا يضحكون ويتندرون بهما ، واجاب الملك رسول ملك النافار بانه سوف يدرس هذين المطلبين ، وانه سيكلف الدوق دي كيز قائد الجيوش بحمل رسالته هذه .

وعلا على الاثر هتاف النبلاء والاعيان ، واعتبروا كلام الملك دليلا على اعلان الحرب على الهيكونوت .

ولما حمل رسول ملك النافار جواب ملك فرنسا اليه ، قرر هذا تعبئة جيشه ، والوصول الى اغراضه ومطاليبه بحد السيف .

وفي هذه الليلة اجتمعت الملكة كاترين الى ولدها ، واخبرته بان الدوق دي كيز يريد قتله ، واعطته الرسالة ، فقرأها ، وبدا الخوف واضحا على وجهه ، ثم سألها : متى حصلت عليها .

فاجابته : منذ اسبوع ، فسرّى عندئذ عن الملك وقال :

ــ لقد كتب هذه الرسالة قبل ان يقسم في الكنيسة يمين الطاعة والاخلاص .

ولما حاولت الملكة اقناعه بان الدوق سوف يخونه ويحنث بقسمه رفض تصديقها فطلبت منه مهلة ايام ثلاثة ، لتحمل اليه البرهان القاطع على خيانته .

فقال لها الملك :

ــ اذا حصلت على هذا البرهان فسأقضي على الدوق القضاء المبرم .

« نعم اذا فعلت ، وحملت اليّ الادلة الثابتة على خيانته دعوت ابسل رجالي وطلبت منهم ان لا يعودوا اليّ الا برأسه » .